السيّد عبد الرحمن بافقيه

كيف السلو وما في الصدرِ مستعر
ذكري نوى سيّدي والعينُ تنهمرِ

كيف العــــزاء وقد بان الذيّ به
عند الشدائد نسلو كيف نصطبر

وسيّدي عبد الرحْمن بافقيه نأي
عنّا وغاب وماذا الظلمُ ينجــبرُ

حار الجنان كما ارتجّ اللسان إذا
منعاه جاء مــــن الـــمذياع ينتشر

في سرعة لشعاء الشمس شاع وما
راعَ القلـــوب وأبكَى مثلَه خبـــر

فلَم يبِت في نواحي كيــرلاَ أحد
إلاّ ويبـــكيه لا أنثـــى ولا ذكرٌ

فواقفٍ دهشـــةً حيد ـنحصــرٍ
عن الكلام ومـــختلٍّ له النـــظر

وقائـــل مــــن لنا فيما يُلـــمّ بنا
من الـــحوادث عونًا هل لنا وزرٌ

كان الفقيد لهم أحرى وأجدر أن
يُفدى بأنفسهم مع كلّ ما ادّخروا

بل ليس يُقبل عدل في الممات فإن

يُقبل فدى جدّه بالعالم البشر

كلّ ابن أنثى وإن طالت سلامته

يوم على النعش محمولٌ فمقتبر

فما مصيد لليثِ الْموت منفلتٌ

ولا أسير لجيش الكفت منتصر

إنّا جميعا لِبارينا ومرجِعنا

طُرّا إليه فمقبوض ومنتظرٌ

جزى عن الأمّة الرحمن خير جزا

ذاك الرئيس الذي من فقده خسروا

رئيس رابطة للمسلِمين بِهن

دٍ في أمور الاقليّات تشتمِر

في شخصه اللذ قميصا يكتسي وقبا

وكُمّة مِجَرا في الرأس يعتجِر

شيخٌ فقيه بأمر الدين مستبقٌ

للصالحات وليٌّ صالحٌ طهرٌ

وعابدٌ مخلص ما كان يمنعه

أوراده كثرة الأشغال والسفر

وناصر لضعاف الناس منتدبٌ

لما دعوه وللفجّار منتهرٌ

وسائسٌ أحمس فــي الدين ذو هِمم
علِيّة ليــس يوهـــي عــزمه ذعــرٌ
وتاجــرٌ ماهــرٌ للنــاس مؤتــمنٌ
ومُعيــلٌ موســعٌ لا مســرِفٌ بذِرٌ
وقائد القــوم ترعاهــم حــماسته
فــي الدين والعزّة القعساء والفكرُ
ومصــلحٌ ومــجدٌّ قــدر طاقــته
لرأب ما من قوى الإســلام ينكسر
وللتآلُــف بيــن القانطــيــن هُنا
وللتعاضُد فــي تَحصيل ما افتقَروا
خاض السِّياسيّ يسعَى فِي مصالِحنا
مع حفظ ما هو في الدستور مستطر
كان الــمؤيّد مسـلِمْ لِيكُ رابِطَةً
في كيرلا بعــد قسم الــهند يعتبِر
يقول لا بــدَّ من تشــييدِ بنيتــها
بِها أمــور الأقلّــيَّــات تنجبــر
والأغــلبيّــة إن جاروا وإن عدلوا
فجاهــلونَ بأمــنٍ نــحــنُ نفتقِر
فواجــبٌ بعــثُ أعــضاء تُبلّغهم
أصواتَنا باهْتِمام حيثُــما ائتمــروا

فثـــار من كلّ أقـــطار مـــلبِّيـــةً
لـــما دعَـــى زُمرٌ من بعدها زمرٌ

فصار أســـرةُ مســـلمْ ليكُ رابِطَةً
قويَّةً حســـدتْ فـــي عزِّها أُسرٌ

وأفلَحتْ كعصى موسَى تلقّفُ ما
هُم يأفِكون وتوهي كلّ ما سَحروا

بِموتِه فات مُســـلِم ليكُ قائِـــدَها
وكيـــرلا فيصـــلٌ مستبصِـــرٌ ظَفرٌ

والْهندُ داعِم ديـــمُقراطِها بقـــوًى
مُـــؤلّفـ اتِ إنسانٍ بينَهـــم نفِروا

والـــمسلِميـــن أبٌ بـــرٌّ بِعاطِفـــةٍ
دينيّـــة ومـــلاذٌ كلّـــما ذُعـــروا

وإن يـــمُت ويغِـــبْ لكـــنّ دعوتَه
تنمو بِخضْرتها فِي وجـــهها نضـــرٌ

فـــلا يظـــنّ عـــدوٌّ أنّـــها ذبُلتْ
بـــمـــوتِ ذلك كلاّ تِلكَ تنتشِـــرُ

وتـــحتَ رايتِـــه الـــخضرَاءِ أسودةٌ
خُضرٌ تُؤيِّدُها ما تظـــلل الشـــجر

وكان فِي جبهة الْحربِ التِي انبعَثت
ضدّ الشـــيوعيّة الأشرار إذ فجروا

وكلّما ثارَ من أعدائنا فتنٌ
في أيّ قُطرٍ أتى بالسّلمِ يبتكرُ

فإذْ رآهُ لدُودٌ ثارَ ثائرُه
أصغَى لإنْذارِهِ خجلانَ يندعرُ

والباعثُ الطائفيُّ اللذْ به كلظَى
بعذبِ أقوالِه يَخبو فيزدجرِ

وكان يكرمه الأعداءَ حيث لَقوا
وإن هجوه بظهْرِ الغيبِ أو وجروا

وسابّه حالةً تلقاه مادحَه
أخرى وطُلاّبَ عهدٍ منه من غدروا

كم كان أوّل رأي منه آخرَ ما
رأوهُ هُم في أمورٍ فصلُها عسرٌ

سُبحان مُعطِيه حُسنَ الخلقِ في خُلُقٍ
سهلٍ جميلٍ فبالحُسنيينِ يزدَهِرُ

وكيفَ لا وهو من سِبطِ النبِيِّ وقد
حاز النبِيُّ مزايا لَم يَحُزْ بشرٌ

معْ كونِه حسَنَ الأخلاقِ منبسطًا
مع كلِّ مرءٍ فشخصٌ أهيبٌ وقرٌ .

كانت وَقارَته تكفِيه باعِثةً
لخَصْمِه لِقبولِ النصحِ يعتذِرُ

تعرُوا قُشَعْرِيرةٌ للسَّامعينَ لما
يُلقيه من خُطبٍ إن همَّهُ تُكُرٌ
إن قام في محفلٍ فَصرْهُ أرفَعهم
قدًّا وأعظم أبهَى كلّ من حضَروا
وكم محافِلَ باهَتْ حيثُ كان لها
صدْرًا وأمكِنةٍ مُذْ زارَ تفتَخرُ
وكان خالِصَ سُنّيٍّ ومجتَهِدًا
لِرفعِ أعلامِ سُنّيّين تنتصِرُ
رئيسَ لجْنَةِ قُوَّامٍ لجامعةٍ
نوريَّةٍ خيرَ من في وضْعها اشْتَمروا
والخازِنَ الفردَ في جَمعيّة العُلمَا
سَمسْتَ كيرلَ نعمَ الخازِنُ الحذِرُ
وكان بالسيِّدِ الأزريِّ مشتهَرًا
قبلاً لِما كان تُجبَى عندَهُ الْمِيَر
يَبيعُ لا سِيَّما حال الْمجاعَة ما
يكْفِي لِحاجاتِ كلٍّ ليسَ يحتكِرُ
زُهاءَ خَمسينَ عامًا فِي تِجارَتِه
أمضَى ومَا مَسَّهُ في حالةٍ دثَرٌ
وكان أزهَدَ تُجّارٍ وأسْرعَ إذْ
إلَى الصلاةِ يُنادَى حينَ يتَّجِرُ

وكان أصدَقَهم قولاً وأحسَـــنهم

فِعلاً وكان جوادًا جودُه الـــمطرُ

هوَ الذي رفَع الأشراقَ قبْلُ إلَـــى

أوجِ التجَارةِ حتَّى إنّهم مهـــرُوا

وكانَ كلَّ سِنِــي حِجَّاته عضُدًا

لِـــوارِدِي مكّةٍ من كيرلاَ سَفروا

تراهُ يسعَـــى لَهم فـــي كلِّ باردةٍ

وكلِّ هـــاجِـــرةٍ إن مسَّهُـــم وطرٌ

وإن يكُن حالَ حـــجِّ النـــاسِ بلدتَهُ

ففِي الْجوارِ وفِي التسْفِيـــرِ يشـــتَمِرُ

وفِي الســـياسيِّ والدينيِّ كان لَـــهُ

فضـــائِلٌ جـــمَّةٌ تُتلَـــى وتُستطَـــرُ

وكائِنًا من يَكُـــنْ ذا لا أرى أحـــدًا

يَنُوبُ عنهُ سِـــوَى الْمهدِيِّ يُنتظَـــرُ

عجزْتُ يا صاحِ عنْ إحصـــا فَضائِلِه

نَظْمًا فَذرنِي عَلَى الْمذكورِ أقتَصِـــرُ

مـــع أنّ إحصـــاءَ إنســـانٍ مكارِمه

حصرُ النجُومِ وعدُّ القـــطْرِ ينحـــدِرُ

فآخِـــرًا بـــجوازٍ لِلْحـــجَازِ سَـــعَى

لِحجِّـــهِ الثـــانِ والْعِشـــرِينَ يعتَمِـــرُ

وجاءَ فِي صِــحَّةٍ بالنسـكِ أجْمَعِهِ
بل رُبَّما نابَــهُ مِــن دائِــه ضَــررٌ

وقد تعجّــلَ فِي يومَيــنِ مُندَفِــعًا
لمــكّةٍ من مِنًــى معــهُ إذًا نفــرٌ

ونابَــهُ ألَــمٌ فِــي طَــوفَةٍ فأتَــى
مثْــوَاهُ مَــكَّةَ فِــي ذا العَامِ يبتَدِرُ

وكانَ مِــن قبلُ مفــؤُودًا فَــعاوَدَهُ
وجْعُ الفُؤادِ معَ الْحُمَّى عــرت تغِرُ

كما عــرَتْ جَــدَّهُ خيرَ الأنَام لَدَى
وفاتِــه ما لَــها الأخيــارَ لا تــذَرُ

وكانَ داوَاهُ دَكْتُــورانِ وُسْــعَهُما
بَلْ لَيْسَ ينفَعُ طبٌّ إن أتَــى القدَرُ

وَليلَتيــنِ ثَوى مَثــوَاه بعــدَ مِنَى
وجاءَ ثالِثَــةٌ فِــي طيِّــها فِقَــرٌ

حتَّى إذا انْتَصَفَتْ صلَّى العِشا فغَفا
فهبَّ وجْــعًا وكادَ الفجرُ ينفَجِرُ

فَبَينَــمَا هُمْ لَديهِ وهوَ مُضْطَــجِعٌ
لأيْمــنٍ ســمِعُوا تَهْــليــلَهُ يقِرُ

فَطارَت الرُّوحُ لْلخَضراءِ للملإِ الــ
أَعْلَى نُزُوعًا إلَيهِمْ حبَّــذَا الســفرُ

وجُثّةً مـن تُـرابِ الأرضِ ناشئةً
للأرضِ أرْجَعَها فـي بَطْنِـها تقِرُ

في لَيلةِ الجُمْعَةِ الدُّنْيا إلـى عـرَفا
تٍ حجَّها تلوَ ما بدْرًا غدَا القمرُ

وتلكَ بعدَ الليَالِـي العشْرِ خامسَةٌ
ويَومُـها ثالثٌ مُـذ كلُّهُم نَفرُوا

أرَّخْتُ ماتَ إمامُ الناسِ عُـروَتُنا
أو سـيِّدٌ عبدُ رحْمانْ آضَ يُقْتَبَرُ

وحيَّرَتْ بسمَةٌ فـي وجهه بَقيَتْ
بعدَ الممَاتِ وأبْكَتْ كلَّ من نظَروا

كأنَّهُ قائِـلٌ إنِّي ظـفـرتُ بِها
رجَوتُ فاتَّبِعُوني يـحصُلُ الظفَرُ

بِقُـربِه صِهرُه والبِـنتُ مريَمُ فِي
خِدرٍ وخَتَنَتُـه إذ ذَاكَ مُحْـتَضَرٌ

والحاجُّ سِي كي بي مَمُّ كيبِي صاحِبُهُ
والحاجُّ كلَّـدَرَ المشهـورُ والظفِرُ

وغَيرُهم من أعِـزَّاءٍ وحِيـنَ فَشَا
مَنْعَاهُ جـمٌّ غفِيـرٌ نحوَهُ ابْتَـدَرُوا

وعـرّجُوا ثَمَّ حتَّـى فِي الهجيرِ به
جاؤُوا المطافَ وسيِّدُ الناسِ منحدِرٌ

لِلجُمعَتَيــنِ معًا كان اجْتماعُـــهُمو

أخْراهُما مـــا كِفائِــيا بـــه أُمروا

فأحدقوا نَحوَ ملْيُونَيـــنِ فـــي عَدَد

بـــه يُصــلُّونَ كلٌّ منهـــمُو عِبـــرٌ

فاسْــتَقْبَلوا في الصلاةِ الكَعْبَتَينِ معًا

إحداهُما في الْمُعَلَّـــى بعدُ تَسْـتَتِرُ

وشيَّعُوا لِلمُعَـــلَّى وهوَ مـــدفَنُ مَنْ

فِي مكّة ماتَ بدرَ الْهِندِ فَاقْتَبَـــروا

بِقُربِ مشْـــهدِ زوجِ الْمصْطَفَى أَبِه

خدِيجَةِ جدّةِ الأَسْباطِ مـــن طَهَروا

وقُربِ قبـــرِ الشريفِ السيّد الحرمي

ي المالكِي عَلَوِي العـــلاّمَةُ الوُقَــرُ

فَمـــوتُهُ واقِـــعٌ فِي نفـــس مكّةَ لا

لا فـــي الرياضِ كما قبلاً فشا خَبَرٌ

فِي مـــوته مكّةً لا سيَّمَا عقبَ الـــ

وُقوفِ للحـــجِّ رُتبَاتٌ لَـــهُ كُبَـــرٌ

والحجُّ يهدِمُ ما من قبـــلُ كانَ كَما

روَوا علَـــى أنّه فـــي نفســـه طَهرٌ

أعظِمْ بـــحـــظْوَته فـــي نيلِ بغيَته

وَحَوزِهِ كلَّ ما يَعلُـــو به الـــخطَرَ

وكان أســلافه ممّــن هنا وردُوا

من مكّةٍ قبــلَ أعــوامٍ ليتّجِــروا

ومــن سُــلالَة طهَ من قبيــلة با

فَقيهِ حيٌّ كِــرامٌ سادةٌ شُــهرُوا

أبوه ســيّد عبد القادرِ بْنُ أبــي

فقيه ســيِّد عبــد الله مُشــتهرٌ

وكان مــولِدُه كُيْلانْــدِ منشؤُهُ

بوَلْيَ مَاضِــيَكَّلْ قصرَ الذينَ سرُوا

كالموتِ كان بشهرِ النحــر مولده

فنَحوَ سبعيــنَ عامًا طُــوِّلَ العُمُرُ

لَــه ثلاثُ حليــلاتٍ وسبــعُ بنَا

تٍ معْ بنيــنَ ثلاثٌ بعــدَهُ عشرٌ

آواه مــولاهُ دارَ الــخلدِ جنّتَــه

لِباسه من حريرٍ سُنــدُسٍ خضــرٌ

عافَى برحــمته الرحْمنُ راثِيَهُ الــ

أريكَلِي عبــدَهُ والذنبُ مغتفَــرٌ

لله حمدِي وشُكري والصلاةُ علَى

خيرِ الورَى وتلاهُ الصحبُ والعِترُ